بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي شرّف هذه الأمة بأن جعل اللغة العربية لسانها وجعل القرآن منزلا بها . والصلاة والسلام على رسول هذه الأمة الذي كان مبينا لهذا القرآن وعلى آله وصحبه وسلم.

الألفاظ ودروها في تسهيل تعليم اللغة العربية

د . عبد الحكيم شعبان الغرياني
قسم اللغة العربية – كلية اللغات– جامعة طرابلس

أمّا بعد :

فلقد اقتضت حكمة الله أن يكون الإنسان كائنا اجتماعيًا بفطرته وطبعه يعيش مع الناس في مجتمع ما ، يشاركهم في مشاعرهم وأحاسيسهم وأفراحهم وأتراحهم وفي ترحالهم وفي حل مشاكلهم .

والإنسان يسعى بكلّ الوسائل المادية والمعنوية لأن يكون على صلة بمجتمعه والتكيف معه اجتماعيا ووجدانيا ونفسيا ، ومن الوسائل التي تعين على هذا التكيف الاجتماعي والوجداني والنفسي (اللغة) .

ويتبادل الإنسان والآخرون الأفكار والآراء يوميا ، لذلك نراه يسعى ويجتهد بكل الطرائق لكي يكون تعبيره عنها في صورة واضحة سهلة قريبة الفهم لدى من يخاطبه .

ولا وسيلة لهذا التبادل إلا اللغة ؛ لأنّ اللغة كما يعرفها العلماء : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وأفكارهم . أو هي : مجموعة من الألفاظ أو المفردات يُضم بعضها إلى بعض ليكون منها عبارات يعبر بها المرء عن معانيه وأفكاره . .

وكلّ لغة من اللغات تضم علوما عدة ،كلّ علم يسهم في توضيح جانب منها تهدف جميعها إلى غاية واحدة هي الفهم والإفهام .

ولغتنا العربية شأن غيرها من اللغات لها علوم ، تعتمد كل منها على قواعد تعين على تفاهم النّاس وتواصلهم .

فعلم الأصوات يبحث في الحرف الواحد وكيفية نطقه نطقا سليما ، وعلم الصرف يبحث في بنية الكلمة الواحدة ، وعلم النحو يبحث في كيفية تركيب الجمل تركيبا سليما ، وعلم البلاغة يبحث في تركيب الجمل وطريقة التعبير عن المعاني والأفكار ، وعلم الإملاء يبحث في كيفية الكتابة من غير أخطاء ، وعلم علامات الترقيم علم يبحث في كيفية توضيح الجمل عن طريق إشارات ورموز وتسهل عملية الإفهام ، وغير ذلك من العلوم العربية المختلفة .

وتتكون كل لغة من اللغات من ألفاظ تتألف وتتشكل لتصبح جملا وعبارات وفق قواعد معينة تسهم في التعبير عن المعاني والأفكار والأغراض.

والألفاظ هي اللبنة الأولى في عملية التعبير عن الفكر ، وإن كانت الحروف هي التي تشكل الألفاظ ، فهي وحدها ليس لها معنى إلا مع غيرها .؛ لذلك كانت الكلمة هي الجزء الأصغر في عملية التعبير .

ولما للكلمة من دور كبير في التعبير وتسهيل الفهم كان الأدباء والكتاب والشعراء

يتنافسون في اختيار ألفاظهم من حيث الدقة في اختيارها وفصاحتها وصراحتها وقوتها . لأنّ كل لفظ في لغتنا العربية وضع لتأدية معنى أقوى من غيره .

فحسن الألفاظ إذا عنصر مهمّ في حسن التعبير الأمر الذي جعل أحد الكتاب يُعرّف التعبير الجيّد بأنه : " القدرة على وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب ".

ولما للألفاظ من دور كبير وخطير في التعبير وفي تسهيل تعليم اللغة العربية آثرت أن أشارك في هذا المؤتمر بهذا الموضوع ، للوقوف على أهم مظاهر اللفظ الجيد في التعبير تحت المحاور التالية :

المحور الأول : في دقة اللفظ .

المحور الثاني : في فصاحة اللفظ .

المحور الثالث : في قيمة اللفظ وأهميته في الأعمال الأدبية .

أردت قبل الخوض في هذه المحاور أن أتحدث عن الكلمة لأنها اللبنة الأولى في التعبير ، يقول علماء اللغة : إنّ الكلمة من المصطلحات الغامضة التي يصعب تعريفها لأنها " ليس لها تعريف وحيد أو تعريف جامع مانع ، وإن كان من السهل تعرفها ، ولقد اقترحت عبارات فنية شتى يقصد بها بيان بعض جوانب الكلمة الأساسية ، فهناك من العلماء من يهتمّ بوظيفتها بوصفها وحدة المعنى ، ومنهم من يعدّها " أصغر صيغة حرة " ويعني هؤلاء بذلك ... أنها أصغر وحدة كلامية قادرة على القيام بدور ناطق تام " (دور الكلمة في اللغة ، ص : 49) .

والنحويون يعرفون الكلمة بأنها : اللفظ الدال على معنى مفرد سواء أكانت الكلمة حرفا واحدا أو كانت أكثر . أو الكلمة : قول مفرد وضع لمعنى .

والكلمة على الرغم من غموض تعريفها وصعوبته عند اللغويين ما هي إلاّ رموز للتجارب الإنسانية التي نمرّ بها أو للأشياء التي نشاهدها أو التي نسمعها أو نحسها ؛ فنحن نرمز بالألفاظ ذاتها للأشياء نفسها ، فمثلا عندما نقول : قلم ، أو كراسة ، فإنّ هاتين الكلمتين ترمزان للأداة التي نكتب بها والتي نكتب فيها .

والكلمات وإن كانت رموزا لهذه التجارب الإنسانية ، فإن التجارب كثيرة بالنسبة إلى عدد الكلمات الدالة عليها ، لذلك استخدم اللفظ لأكثر من دلالة فكلمة اللسان مثلا أداة من أدوات النطق لدى الإنسان ، وبمعنى اللغة ، ثم إنّ السياق هو الذي يحدد معنى الدلالتين .

وليست الكلمات إشارات مجردة واصطلاحية فحسب ، بل بوسعها أن تنشئ بجرسها وإيقاعها لحنا مستقلا عن مدلولها الخاص ، لأنّ " للألفاظ نسقا ونظاما وجوّا يسمح لها بأن تشع أكبر ما في شحنتها من الصور والظلال والإيقاع وأن تتناسق ظلالها والجو الشعوري الذي يريد الشخص أن يرسمه " (النقد الأدبي أصوله ومنهجه ، ص : 45) .

فجرس الألفاظ " له وقع تأثيري ، كثيرا ما يعين الكاتب أو الشاعر على استنفاد احساسه على أن يسلم ذلك من التكلف المجتلب، وهذا ما نسميه بالإيقاع الداخلي ، أو الموسيقا الداخلية للتراكيب " (دور الكلمة في العمل الأدبي ، ص : 14) .

والكلمة حية نامية تتطور وتتجدد بتطور أهلها وتموت بموتهم يقول الشاعر حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية وهي تنعى حظها بين أهلها :

أنـا البحـرُ فـي أحشـائهِ الـدرُّ كـامن فهـل سـألوا الغـواص عـن صَـدفاتي؟

فيـا ويحكـم أبلـى وتَبلـى محاسـني ومـــنكم وإن عـــزَّ الـــداءُ أســـاتي

فـــلا تَكِلـــوني للزمـــان فـــإنني أخـــاف علـــيكم أن تحـــين وفـــاتي

ومن الوسائل التي تنمي ألفاظ اللغة وتقوم بحمايتها من الموت واستحداث ألفاظ جديدة تفي بمتطلبات العصر :

1-الاشتقاق : وهو أخذ لفظ من آخر مع تناسبهما في المعنى العام والحروف الأصلية واختلافهما في الصيغة وزيادة قوة في المعنى ، وهو من خصائص اللغة العربية ، ودليل على مرونتها وحيويتها ، والاشتقاق نوعان : أصغر وهو الأكثر إغناءً لمفردات اللغة ، كتوليد : شَغَل ، و شُغل ، وشاغل ، ومشغول ، ومَشغل ، ومشغِّل ، ومشاغل من الشغل . والاشتقاق الأكبر وهو القلب ، كمافي : يئس وأيس ، وجبذ وجذب .

2-النحت : وهو الحصول على لفظ واحد من بعض حروف كلمتين أو أكثر حتى تدلّ الكلمة الجديدة على معنى عام يعبر عن معنى هذه الكلمات ، مثل الحوقلة (لا حول ولا قوة إلاّ بالله) والبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) وغير ذلك . والغرض من ذلك الخفة والتسهيل والإيجاز . (انظر : اللغة العربية الثقافة العامة ، ص : 19) .

3-التعريب : هو استبدال لفظ عربي بلفظ أجنبي أصيل يحمل مدلوله .

4-المجاز : هو الانتقال بالكلمة من معناها الأصلي الذي تذكره معجمات اللغة إلى معنى جديد ، على أن يكون بين المعنيين علاقة ؛ كإطلاق كلمة (يد) لتدلّ على القوّة أو النعمة ؛ لأنّ اليدّ سبب فيهما ، فاستعارة الألفاظ أو نقلها يعطي المعنى جمالا ويؤكده ، وعندما ننقل الكلمة أو نستعيرها فإن للفظ قيمة تضاف إلى قيمته اللغوية من توضيح للمعاني وتقويتها عند المتلقي، واتساعها في التعبير بزيادة المفردات الدالة على المعاني .

المحور الأول : الدقة في اختيار اللفظ :

يسعى كلّ شخص عند التعبير عن أفكاره ومعانيه إلى أن يكون كلامه وأسلوبه مفهوما مؤديا للغرض الذي يبتغيه ، والسبيل إلى ذلك الألفاظ والعبارات ، فالألفاظ هي اللبنات الأولى في عملية التعبير ، والجزء الأصغر الذي يتألف منه الأسلوب والكلام " فالذي لا يحسن استخدام الألفاظ لا يستطيع بالتأكيد أن يسيطر على أفكاره ولا يحسن التعبير عنها " (التحرير العربي ص : 21) .والطريق إلى معرفة دقة الألفاظ يكون بمعرفة أمور :

الأمر الأول : الترادف

ألفاظ اللغة كثيرة ، وكل لفظ في الأصل كما تقول القاعدة اللغوية يعبّر عن معنى واحد . ولغتنا العربية تتميز بكثرة الألفاظ التي تدلّ على معنى ومسمى واحد ، وهي ميزة قلما نجدها في لغة أخرى " فالكاتب العربي لا يجهد نفسه كثيرا في البحث عن اللفظ الذي يريده " (التحرير العربي ص : 21) .

والترادف هو توارد ألفاظ متعددة ومختلفة لمسمى واحد ، وله فوائد منها " أن تكثر الطرق إلى الإخبار عمّا في النفس ، فإنّه ربّما نسي أحد اللفظين أو عسر النطق به فالترادف يعين على القصد ، ومنها التوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر ، وذلك لأنّ اللفظ الواحد قد يأتي باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك ، ومنها أن يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون تفسيرا للآخر الخفي " (دقائق العربية ، ص : 38)

ولقد دعا القرآن الكريم ألا يستخدم لفظ مكان آخر ، فقال : " قالت الأعراب آمنّا قل لم

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " (سورة الحجرات ، الآية : 14) لذلك لا تجد في القرآن ترادفا ، بل فيه كل كلمة تحمل إليك معنى جديدا .

ولقد استخدم النبي ρ في أحاديثه اللفظ المعبر في مكانه المناسب والمؤثر ، من ذلك قوله ρ : " الآن حَميَ الوطيس " صحيح البخاري رقم : 2728 . فمعنى حمي : استعر ، ومعنى الوطيس : الحرب . فلم تغن هاتان الكلمتان عنهما .

فمن ألفاظ لغتنا المترادفة لفظ : الفرح والسرور ، والحبور ، المعنى العام واحد ؛ بيد أنّ لكل كلمة دلالتها الخاصة ، فالسرور ما كان مكتوما ، والحبور ما يرى أثره في ظاهر الوجه ويستعملان في المحمود ، أمّا الفرح فهو ما يورث بطرا ، ولذلك يذمّ ، فالسرور والحبور مصدرهما القوة الفكرية ، والفرح مصدره قوّة الشهوة . (انظر : دقائق العربية . ص : 162) ومثلها التي بمعنى الفرح : الغبطة ، والارتياح ، والاستبشار ، والاغتباط . فلا يستعمل اللفظ إلافي مكانه .

ومن الألفاظ المترادفة : المثال والشاهد ، والخلط والمزج ، والكمال والحسن والملاحة ، والفيء والظل والطرس والقرطاس ، والنفح واللفح ، والصمت والسكوت ، الضوء والنور ، والأزل والأبد، والخلة والخصلة (انظر : دقائق العربية . ص : 37 ، 41، 44 ،52 ، 53 ، 56) .

والصبح ، والغسق ،والباكورة ، والنشوة ، والنعاس ، وفاتحة الشيء . كلّها بمعنى أول الشيء ، " فالصبح أول النهار، والغسق أول الليل ، الباكورة أول الفاكهة ، والنشوة أول السّكر ، والنعاس أول النوم ، وفاتحة الكتاب أوّله " (فقه اللغة ، الثعالبي ، ص : 19 ، 20 .

ومعرفة اللفظ الذي يكون أكثر دقة في التعبير عن المعنى المقصود من بين المترادفات يكون بالقراءة المتأنية والمتنوعة في كتب التراث في المجالات المختلفة ، ويكون بالرجوع إلى معجمات المعاني التي تقدم الألفاظ في معاني دقيقة ، من هذه المعاجم فقه اللغة للثعالبي ، والمخصص لابن سيده ، والألفاظ الكتابية للهمذاني .

وتأسيسا على ذلك فإن الألفاظ إذا أحسن المرء استخدامها أمكنه أن يعبر عن معانيه بكلّ يسر وسهولة ، وأمكنه " أن يتجنب الوقوع في كثير من المشاكل الفقهية والقانونية والسياسية " التحرير العربي ، ص : 26 .

الأمر الثاني : السياق المناسب للفظ

استخدام اللفظ في مكانه المناسب طريق من الطرائق في اختيار اللفظ الدقيق ، وأمر ضروري للتعبير الجيّد والجميل .

لذا كان علماؤنا القدامى حريصين على استخدام اللفظ في سياقه الصحيح فقرنوا كلمات بكلمات فقالوا مثلا : الكسرة في الخبز ، والخرقة في الثوب ،والبذرة في الذهب ، والفلدة في الكبد ، والبقعة في الأرض ، وكلّها بمعنى القطعة .

وقالوا : الصباحة في الوجه ، والوضاءة في البشرة ، والجمال في الأنف ، والحلاوة في العينين ، والملاحة في الفمّ ، والظّرف في اللسان ، والرشاقة في القدّ ، واللياقة في الشمال ، وكلّها بمعنى جميل . (التحرير العربي ، ص : 27) .

الأمر الثالث : معرفة الصفات :

الصفات مفردات وضعت لبيان الموصوف . وكثيرا ما تقوم الصفات مقام الموصوفات ، مثل : الصقيل والبتّار والقاطع ليقولوا : السيف . والأدهم والأجرد ليقولوا: الحصان .

الأمر الرابع : تحديد اللفظ

ومما يساعد على وضوح اللفظ وجلاء التعبير الدقة في تحديد اللفظ ، وتحديد اللفظ يكون بالابتعاد عن الألفاظ العامة التي لا تعطي مدلولا محددا من ذلك لفظ : (الغسل) للبدن عام ، و(الوَضوء) للوجه واليدين خاص . و (الصراخ) عام ، و(الواعية) على الميت خاص . و (الحديث) عام ، و (السمر) للحديث في الليل خاص . و (الطلب) عام ، و (التوخّي) لطلب الخير خاص . و (الرَّبع) عام ، و (المَرْبع) للمنزل في الربيع خاص . و (الهرب) عام ، و (الإباق) للعبيد خاص . (انظر : دقائق العربية ، ص : 38 .

ومثل ذلك كلمة : نبات عامة ، وشجرة أقلّ عمومية ، وشجرة البرتقال محددة ، ونوع البرتقال أكثر تحديدا (انظر : التحرير العربي ، ص : 29) .

فكلّما كانت الألفاظ أكثر تحديدا كانت أكثر وضوحا وتعبيرا عن المعنى المقصود . وهذا التحديد يساعد على انتشار اللغة العربية والإقبال على تعلمها وسهولة استعمالها .

الأمر الرابع : صراحة اللفظ :

المقصود بالصراحة : أن يكون اللفظ مناسبا للمقصد مستوعب للمعنى لا قلق فيه ولا نفور ، كما في كلمة (محال) في قول المتنبي :

رأيتــك فــي الــذين أرى ملوكــا كأنــك مســتقيم فــي محــال

فالكلمة وإن كانت فصيحة فإنها ليست صريحة ، إذ أن المحال ليس عكس الاستقامة كما قال ابن خالويه ، (انظر : البيان المفصّل في صناعة الإنشاء والبلاغة والعروض ، جورج غريب ، ص : 19) .

فصراحة اللفظ ووضوحه أمر ضروري مهم ، لأن الكلام لا يكون جميلا إلا إذا كانت كلماته صريحة ومفهومة وواضحة .

وبناء على ذلك فإن الأداء الفني الجميل أساسه الدقة في اختيار الكلمة ، فليس الكلام الجيد إلا طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبرة ووضعها في المكان الذي يناسبها ، فالحديقة الجميلة يرجع أساس جمالها إلى الذوق في اختيار نوع الزهر ووضع كل واحدة منها في المكان الذي يلائمها ويناسبها .

المحور الثاني : في فصاحة اللفظ .

استخدام الكلمة العربية الفصيحة أمر ضروري لكل تعبير جميل ، والمتكلم البليغ هو الذي نعرفه من فصاحة ألفاظه وعباراته ، وإن لم يقصد إلى تعريفنا بسيرته وترجمة حياته ، لأنه يصف لنا شعوره بما حوله من الأحياء وسائر الأشياء . يقول العقاد : " فلا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربي من مادة ألفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز " (اللغة الشاعرة ، ص : 40) .

واللفظ المفرد هو أساس كلّ تعبير جميل ، ولكي يكون كذلك ينبغي أن تكون كلماته فصيحة : أي عذبة في النطق ، ومألوفة في الاستعمال ومأنوسة ، وجارية على القياس اللغوي .

ومعرفة اللفظ العربي الفصيح يكون بالعودة إلى المعجمات اللغوية ، التي جمعت المفردات التي استعملها علماؤنا القدامى ، من مثل : تهذيب اللغة للأزهري ، والصحاح للجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي وغيرها من معجمات اللغة وهي كثيرة .

كذلك العودة إلى مجامع اللغة ؛ لأن هناك معاني مستحدثة لم يعرفها السابقون استخدمت لها ألفاظ وهي متداولة بين الناس في عصرنا هذا ، مثل: الحاسوب والمذياع والمحاضرات وغيرها من الألفاظ المستحدثة .

كذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة التي اعتنت بوضع القواعد القياسية لصياغة المشتقات .

والفصاحة لغة : هي الإبانة والظهور ، وفي اصطلاح : هي الألفاظ البينة الواضحة المأنوسة الاستعمال ، والفصاحة نوعان : فصاحة المفرد ، وفصاحة المركب . ولابد لفصاحة المركب أن تكون اللفظ الواحد فصيحا .

ولا بد من السلامة من تنافر حروف ، ومن الغرابة ، وأن تكون الكلمة موافقة للقياس اللغوي ، وابعيده عن الألفاظ العامية والدخيلة لكي تتحقق الفصاحة في الكلمة:

1-السلامة من تنافر الحروف : فالأولى بالمتكلم انتقاء الألفاظ العذبة التي يهواها السمع ، وتسهل في النطق . فكلما كانت الكلمة بعيدة في المخرج كانت الكلمة فصيحة تظهر المعنى واضحا . فمخارج الحروف المتباعدة شرط في نطق الألفاظ دون تعثر . وإن عدم اصطدام السمع بنشاز في نغم الحروف يزيد من تأثير الكلام وتقبله .

2-جارية على القياس الصرفي ؛ لذلك عاب البلاغيون كثيرا من الكلمات المخالفة للقياس العربي ،مثل كلمة (نواكس) في قول القائل :

وإذا الرجال رأو يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار

وكلمة بوقات في قول الشاعر :

فإن يك بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

لأنّ كلمة (بوقات) تجمع على أبواق ، ولا تجمع على بوقات .

ومنها كلمة (الأجلل) في قول القائل :

الحمـــــد لله العليّ الواحد الفرد القديـــم الأزل الأجلـــــل

فالقياس الصحيح أن يدغم الحرفان في بعضهما فيقال : (الأجلّ) .

3-خلو اللفظ من الغرابة لذلك يستهجن استخدام ألفاظ حوشية لا يُعرف معناها إلا باستخدام المعجم ، مثل : اطلخمّ الأمر بمعنى اشتدّ .

4-الابتعاد عن اللفظ العامي والمحلي والابتعاد عن الكلمات الدخيلة ، مثل : (تلفون ، تلغراف ، كمبيوتر ، باص ، تاكسي ،مكرفون ، راديو) واستبدال كلمات عربية بها (هاتف ، برقية ، حاسوب ، حافلة ، سيارة أجرة ، مذياع ، إذاعة مسموعة) .

فالألفاظ إذا كانت عذبة في النطق ومألوفة ومأنوسة في الاستعمال ، وصحيحة في قواعد الصرف والإعراب ، وابتعدت عن العامية والدخيلة سواء أكان ذلك عند الكتابة أم عند الكلام ، تكون قادرة على نقل ما يريده المتكلم من معان وأفكار . وتكون قادرة على استعادة قوة اللغة وهيبتها وهويتها .

المحور الرابع : قيمة الكلمة في العمل الأدبي :

من المعلوم أن الألفاظ والعبارات (الأسلوب) هي المظهر الخارجي في كلّ عمل أدبي . وهي الأداة لنقل تجاربنا وأفكارنا ومشاكلنا وتطلعاتنا ونقل تراثنا وما يجول في خواطرنا .

واللفظـ المفرد هو المادة الأساسية الأولى التي يتكون منها الأسلوب الذي هو من أهم عناصر الأدب ، غير أنّ هذه الألفاظ لا تستعمل فرادى عند التعبير عن تجاربنا وعيشنا وعن الأشياء التي نشاهدها أو نلاحظها ، لأنّ من النّادر أن يكتفي المتكلّم بكلمة واحدة يعبر بها عمّا يدور في عقله وذهنه .

وهذا لا يعني أن اللفظ المفرد ليس له قيمة وقوة في نفسه ، قال ابن الأثير : " من المعروف أن تكون الكلمة المفردة فيه وحده ، بل إنّ الجملة والعبارات هي الأساس في التفكير والتعبير ، وهذا صحيح ولكن ليس معناه أنّ الكلمة ليست لها قوة " (ابن الأثير ، ج1 ، ص : 253)

ويقول في موضع آخر : " اعلم أنّ الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر ، فالألفاظ الجزلة تتمثل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار ، والألفاظ الرقيقة تتمثل كأشخاص ذوي دماثة ولين ولطافة مزاج " ويعلق شوقي ضيف على ابن الأثير بقوله : " ولهذا كنّا نرى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد ، ونرى ألفاظ البحتري كأنهنّ حسان عليهنّ غلائل مصبّغات وقد تحلين بأصناف الحلي " (في الأدب والنقد ، ص : 42) .

ومما يدل على قيمة اللفظ أنّ علماءنا القدامى من أمثال الجاحظ وابن خلدون وغيرهم يذهبون إلى أنّ جمال الكلام في الألفاظ لا في المعاني ،إذ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والأعجمي والفضل في ذلك للعبارة .

ومع قيمة اللفظ المفرد ، فإنّ عبد القاهر الجرجاني يرى أنّ الألفاظ المفردة هي مجرد علامات اصطلاحية للإشارة إلى شيء ما ، وليست للدلالة على حقيقة هذا الشيء ، وللفظ المفرد لا يمكن أن يدلّ على معنى محدد ما دام إشارة مجردة ، وإنما تدلّ على معنى مجرد ، وما دامت تدلّ على معنى مجرد ، وهو يحتمل مئات المعاني ما دام يدلّ على معنى مجرد ، ومن تمّ لا معنى له ، واللفظ يؤدي معنى محددا لذا استخدم في سياق ، فالسياق وحده هو القادر على أن يمنح اللفظ المفرد دلالته المحددة ، وهو وحده القادر على أن يمنحه القدرة على الحركة والعمل (قضايا النقد الأدبي ، ص : 278) .

وقد رد ابن الأثير على عبد القاهر بقوله : " ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظ الغصن الغضّ ولفظ العُسلوج ، وبين لفظ المدامة ولفظ الإسفنط ، وبين لفظ السيف ولفظ الخَنْشليل ، وبين لفظ الأسد ولفظ الفدوكس " فالألفاظ " لها نغمة كنغمة أوتار الموسيقا ، وليس بصحيح أنّ النغمة المفردة في الموسيقا ليس لها قيمة وإلاّ لكانت النغمة الناشزة كالنغمة المؤتلفة مع أخواتها " (في الأدب والقد ، ص : 35) .

ومن ميزات اللفظ المفرد الواحد في اللغة العربية أنّه يحتفظ بدلالاته الشعرية المجازية ودلالته العلمية الواقعية في وقت واحد بغير لبس بين التعبيرين فلا لبس بين الموضوع بمعنى الفكرة التي ندرسها ، وبين الموضوع من الوضع في مكان محسوس (اللغة الشاعرة(ص : 13).

ومن مميزات اللفظ المفرد أيضا أنه يملك إيحاءات أخرى عديدة ، يقول السيد قطب : بـ " أن " لفظا واحدا هو الذي يرسم الصورة ، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن ، وتارة بظله الذي

يلقيه في الخيال ، وتارة بالجرس والظلّ جميعا " (النقد الأدبي أصوله ومنهجه، ص : 46 ،47) . وقد دلل على ذلك بكثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : [اثاقلتم في الأرض] سورة التوبة ، الآية : 38 . إنّ في هذه الكلمة طنّا من الأثقال ، ولو أنك قلت : (تثاقلتم) لخفّ الجرس ولضاع الأثر المنشود ، وتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقلّ برسمها .

ومنها لفظ (يصطرخون في قوله تعالى : [وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحا] سورة فاطر ، الآية : 37 . فيخيّل إليك جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة ، كما تلقي إليك ظلّ هذا الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتمّ به أو يلبيه ، وتلمح من وراء ذلك كلّه صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون .

ومنها كلمة (بمزحزحه) في قوله : [وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمّر] سورة البقرة ، الآية : 95 . صورت لك هذه الكلمة صورة الزحزحة المعروفة كاملة متحركة (النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ص : 46، 47) .

ومن ذلك لفظ (قطعّ) في قوله تعالى : [فقطّع أمعاءهم] سورة محمد، الآية : 16.ولفظ (تزّاور) في قوله : [تزّاور عن كهفهم] سورة الكهف ، الآية : 17.

ومن أهمّ ما يستحسن في اللفظ المفرد انسجامه مع الجوّ العام ، فكل موضوع له ألفاظه ، فاللفظ المفرد في الحماسة شديد فخم صاخب ، وفي الغزل رقيق عذب . يقول القاضي الجرجاني " أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، بل ترتب كلا مرتبته ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشركه الآخر فيه (الوساطة القاضي الجرجاني : ص : 24) .

وإنّ الأسلوب الجيّد هو الذي يتكون من ألفاظ مختارة منتقاة ومن تآلفها و تركيبها مع غيرها في عبارات فتكون بذلك كلّ لفظ كأنّه نغمة وكل جملة كأنّها لحن .

غير أن هذه الألفاظ المختارة تختلف في الحسن باختلاف وضعها المناسب عند تركيبها ، فقد نجد لفظين يدلان على معنى واحد وهما على وزن واحد وكلاهما حسن في الاستعمال ، إلا أنّه لا يحسن استعمال هذ في كل موضع يستعمل فيه هذا ، فمن ذلك قوله تعالى : [ما كذب الفؤاد ما رأى] سورة النجم : الآية 11 . وقوله : [إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد] سورة ق ، الآية : 37 .مع أنّ الفؤاد والقلب بمعنى واحد ، فإن لكل لفظ قيمة في حدّ ذاته ليس لأخته .

ومنها قوله : [رب إني نذرت لك ما في بطني محررا] سورة آل عمران ، الآية : 35 . وقوله : [ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه] سورة الأحزاب ، الآية : 4. ومع أن الجوف والبطن المعنى العام واحد ودلالتهما واحدة ، ووزنهما واحد ، فلم يستعمل الجوف مكان البطن ولا البطن موضع الجوف .

ومثل ذلك كلمتي : (الشهد والعسل) فقد ورد لفظ العسل في قول الأعرج :

الموت أحلى عندنا من العسل نحن بني ضبة أصحاب الجمل

وورد لفظ الشهد في قول المتنبي :

إذا بي مشت حفّت على كلّ سابح رجال كأن الموت في فمها الشهد

فكلا اللفظين حسن مستعمل ، لكنّ لفظ الشهد في بيت أبي الطيب أحسن من لفظ العسل في بيت الأعرج (انظر : المثل السائر ، القسم الأول : ص : 165) .

وقد تجد ألفاظا ليس لها قيمة في ذاتها لأنها مبتذلة، وهي ألصق بالنثر منها بالشعر، لكن عند تأليفها ووضعها في مكانها المناسب ترتفع قيمتها ، من ذلك كلمة (الطين) في قول إيليّا أبي ماضي :

نسي الطين ساعة أنّه طين من حقير فصار تيها وعربد

فالطين كما ترى كلمة مبتذلة عادية ومألوفة ، ومع ذلك أدت موقعها وعبرت عى المعنى أحسن تعبير :

ومثلها كلمة (أيضا) في قول الشاعر :

غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

وهكذا تبرز قيمة الكلمة في العمل الأدبي حين تتسق هي وغيرها في شكل عبارة كاملة ويتحقق الجمال فيها حين تتناسب الكلمة وما يقصده الأديب من المعاني .

وبناء على ما تقدم فإنه إذا صلح اختيار الألفاظ ووضعت في مكانها الدلالي ومكانها النحوي المناسب ، واستطاع المتكلم أن يتصرف بها تصرفا حسنا فإنه يكون قد ملك أدوات الكتابة الأساسية : " فالذهب الخالص والنغم الخالص كلّ منهما جميل في نفسه ، جميل في طبيعته ، ولكن إذا أخذهما الفنان وأعطاهما الشكل ازداد بهما ازديادا كبيرا " (في الأدب والنقد ، ص : 17) .

الخاتمة

في البداية أتوجه بالشكر الجزيل لكل من أسهم في إنجاح هذا المؤتمر ، وأدعو الله أن يكون في ميزان حسناتهم ، لأن هذا العمل يدلل على غيرتهم على لغتهم لغة القرآن والحديث الشريف ، ولغة الدين ، والتراث القومي ، ويدل أيضا على حرصهم على تنمية لغتهم وتطورها وجعلها في مصاف اللغات العالمية الحية .

وإذا أردنا أن تبقى لغتنا حيّة متطورة مواكبة وملبية لمتطلبات العصر في المجالات كافة ، فإنّه يجب على كلّ فرد أن يبذل كل جهد وينفق كل وقت من أجل المحافظة عليها،لأن اللغة ليست مسئولة عما ينتابها من الضعف و العجز والتقصير ، يقول الشاعر :

لكلّ قوم لسان يعرفون به إن لم يصونوه لم يعرف لهم نسب

وأخيرا : أتمنى أن تعاد مثل هذه المؤتمرات التي تدعو إلى نشر لغة الإسلام بين الشعوب لتكون المدخل إلى الدعوة إلى دين الله . والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مصادر البحث ومراجعه

أولا : القرآن الكريم :

مصحف ليبيا، برواية قالون عن نافع ، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا 1986م

ثانيا : كتب السنة :

الجامع الصحيح ، البخاري ، تحقيق : مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، بيروت 1987م .

ثالثا الكتب :

1-الألفاظ الكتابية ، الهمذاني ، قدّم له : السيد الجميلي ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1998م .

2-التحرير العربي ، أحمد رضوان وعثمان الفريح ، ط6 ، جامعة الملك سعود ، الرياض 1997م.

3-دقائق العربية ، الأمير أمين ناصر الدين ، مكتبة لبنان ، بيروت .

4-دور الكلمة في العمل الأدبي ، سعد أحمد الحاوي ، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع 2001م .

5-فقه اللغة ، الثعالبي ، الدار العربية للكتاب .ليبيا – تونس 1981م

6-في الأدب والنقد ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة .

7-قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، محمد العشماوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1999م .

8-اللغة الشاعرة ، العقاد ،المكتبة العصرية ، بيروت .

9-اللغة العربية الثقافة العامة ، جمعة علوة وآخرون ، ط1 ، دار الكندي ، الأردن 1990م

10-دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، تعريب : كمال بشر ، مكتبة الشباب ، المنيرة ، القاهرة 1990م .

11-المثل السائر ، ابن الأثير ، أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

12-الموسيقا اللفظية ، عبد القادر مايو ، ط1 ، دار القلم العربي ، حلب 1997م .

13-النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، ط8 ، دار الشروق القاهرة 2003م .

14-الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، تحقيق محمد الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت .